لمن نحمل الرصاص

قراءة في قصص جهاد الرجبي

سمير أحمد الشريف – الأردن

«لمن نحمل الرصاص»، مجموعة الأديبة جهاد الرجبي القصصية، الصوت الجريء الذي آثر أن يقول في زمن الصمت أشياء كثيرة ويلامس موضوعات ساخنة داخلا في عوالم تألمنا لغيابها عن كتاباتنا الأدبية.

الانتفاضة، هذا الفعل الذي لم يرصد أدبيا بهذه الجرأة، وظلت حبيسة اللقطة التلفزيونية الخجلى في عيون من يحلمون بانتصار يأتي من شعاع كاميرات التصوير أو هدير الميكروفونات، في الوقت الذي يحاصر أدب الأرض المحتلة حتى لا يرى الناس صدى ما يحدث مكتوبا بالدم وأزيز الرصاص ونزيف الجراح، بأقلام من عايشوا الأحداث نبضة نبضة.

أتاحت هذه المجموعة رصد الشارع الفلسطيني ونبضه بعيدا عن تزييف الإعلام.

وفي حين قصر الأدب المعاصر عربيا في التعبير عن حرارة الانتفاضة وظل أسير الدهشة، حاولت جهاد الرجبي ملأه فنجحت بدرجة عالية.

مجتمع السجون داخل المحتل من وطننا له نصيب حيث استنبطت الكاتبة من خلاله هموم السجناء ومشاعر ذويهم، ووقفت على أحقر الأساليب التي ابتدعتها آلة صهيون لتعذيب المناضلين.

في «لمن نحمل الرصاص» وقفة طويلة تصور المجتمع الفلسطيني من الداخل ترصد تماسكه واختلافه بموضوعية وصدق، إضافة لتكثيفها الشديد لحالة التردي التي يعيشها بنو صهيون.

ومما أبدعت فيه القاصة حديثها عن الانتفاضة برؤية أجنبية، وعبر الصحافة العالمية التي أظهر الكثير من أعضائها انحيازا للعدالة في قضيتنا.

عالم موار هذا اقتحمته «جهاد الرجبي» وقضايا كثيرة طرحتها، ملامسة ما أصاب الناس من تبدل إزاء عملية السلام، وتعريضها من ثم بصحافة الأبواق التي تمنع حرية الرأي، مشيرة إلى الداخل، بسبب ما اعترى بعض جوانبه من اختلافات.

امتلكت القاصة قدرة على الحوار الذي كان مسهبا ومباشرا في بعض المواقف، متفوقة على نفسها في توظيف نهايات مفتوحة لقصصها التي أعطت أكثر من معنى فاحترمت عقولنا، وتركت المجال أمامنا واسعا لإعمال الفكر وصولا لما توحي به القصة:

«في اليوم التالي كان محمد يعطي ظهره للسجن، كان الذين يخرجون من السجن يستعيدون خطواتهم إلا محمدا، فقد أبقى خطواته بباب السجن وسار بلا قدمين (ص٢٥)و..» طالت طريق عبد الجبار، تعدى نقطة المراقبة، لم يشعر به أحد، لم يكن يحمل غير سلاحه، بعض الرصاص ورسالة قديمة تحمل وجه محمد (ص٣٥) اختيار الأسماء كان موفقا، فقد حملت هي الأخرى دلالات تاريخية موحية.

وعلى الرغم من أن أجواء النصوص تنهل من معين الغربة والإحساس الدائم بالفقد، إلا أن بعض القصص امتلكت خيطا من الأمل والسخرية الناقدة، مما أضفى على النص روحا مرحة:

...عندما أعود إلى الوطن سأجعل منصورا يشتري لك قميصا جديدا.

وإذا لم نعد؟...

بسيطة، نعمل من هذه الأمتار القليلة دولة وسيرسل اليهود إلينا بقية المواطنين «(صـ٤٤)و...» أخشى أن يفلت الوطن من بين أصابعي ! عندما اعتقلوني كانت زوجتي تعاني من الطلق، أخسر عمري كله يا أبا أحمد وأعرف ماذا أنجبت زوجتي.

- إما بنتا أو ولدا، وكلاهما لن ينفعك بشيء ص٤٧ .

ولما كان موضوع السلام هو الأكثر سخونة، فقد كان للمجموعة فيه رأي، وإن حاولت القاصة تصوير مختلف الآراء، فإن انحيازها للجهاد واضح بين:

صاح أحد الجالسين بسخرية:

- غدا نعود لبلادنا، وربما تعود الدنيا كما كانت ! الحياة تلتفت لمن خلفها!!

لن نحصل من السلام إلا على صفحة سوداء أخرى في تاريخنا....

ما معنى سلام تتنازل في سبيله عما هو لك؟

السلام أن تشتري الدم بالدم.

إن صنع السلام للأغبياء دولة، فلن أكون مواطنا فيها (ص١٤١).

خارج دنيا السياسة ودنيا الاعتقال والانتفاضة، تحدثت نصوص «الرجبي» عن عوالم الطفولة باستخدام الجملة الشعرية والصور الموحية:..... وجوه رسمها التعب، عيون مشتعلة بالدمع...

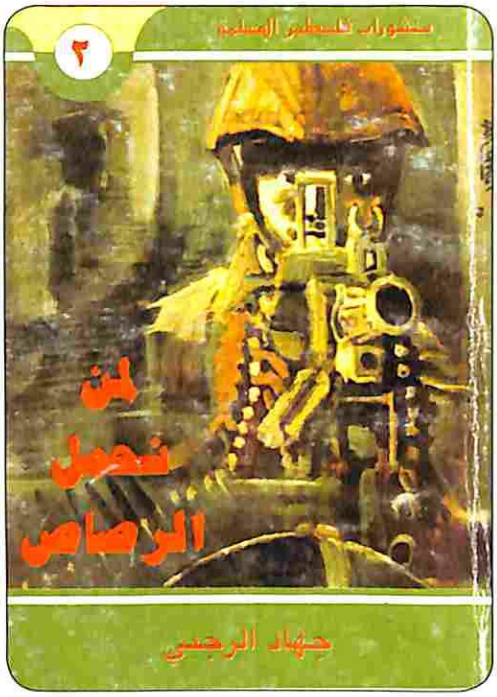

«لمن نحمل الرصاص»، للقاصة «جهاد الرجبي» – القلم الذي غيبته الشللية ووصلنا من خارج الحدود، استطاع أن يقول كلمته ويسمع صوته للذين أغرقوا في محيطات الكلام المشوه والادعاءات الكاذبة.

هذه المجموعة، كما هي كل البدايات فيها الوضوح والعفوية والفكر، وفيها النبرة العالية والانفعال الحاد والعبارات النارية. ومهما قيل تظل الانتفاضة أجمل القصائد وستبقى في مقدمة كل النصوص الإبداعية.

ولئن كان هذا الفن هو طريق الوضوح في تناول الأشياء العميقة والعويصة والمتشابكة على خلاف ما يدعيه بعض المحرومين من الإبداع النقدي ممن يرون في الأدب وسيلة معقدة لقول الأشياء الواضحة أو السهلة، فإن «جهاد الرجبي» قد حققت بمجموعتها شرطنا هذا بتميز، ويكفيها أنها بعملها هذا أضاءت لنا طريق تحرير الأرض وكشفت عن أعيننا بعد رحلة طويلة، قضاها البعض متخبطا، فعلمتنا طريق الخلاص ■